



(آداب الاستئذان)

ملخص الخطبة

حرمة البيوت ، وخطورة انتهاك حرمتها - أثر الاستئذان والمحافظة على آدابه وبعض هذه الآداب - لزوم الاستئذان لكل أحد ولو كان قريباً أعمى - آداب لازمة للصغار الذين لم يبلغوا الحلم داخل البيوت

الخطبة الأولى

أما بعد:

فانقوا الله أيها المؤمنون، وعظموا أمر ربكم، واستغفروه ثم توبوا إليه وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ [الزمر: ٥٥].

عباد الله، لقد جعل الله البيوت سكناً يأوي إليها أهلها، تطمئن فيها نفوسهم، ويأمنون على حرمتهم، يستترون بها مما يؤذي الأعراض والنفوس، يتخففون فيها من أعباء الحرص والحذر.

وإن ذلك لا يتحقق على وجهه إلا حين تكون محترمة في حرمتها، لا يستباح حماها إلا بإذن أهلها. في الأوقات التي يريدون، وعلى الأحوال التي يشتهون: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤَدِّنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [النور: ٢٧، ٢٨].

إن اقتحام البيوت من غير استئذان؛ هتك لتلك الحرمات، وتطلع على العورات، وقد يفضي إلى ما يثير الفتن، أو يهيب الفرص لغوايات تنشأ من نظرات عابرة.. تتبعها نظرات مريبة.. تتقلب إلى علاقات آثمة، واستنطالات محرمة.

وفي الاستئذان وآدابه ما يدفع هاجس الريبة، والمقاصد السيئة.

أيها الإخوة المؤمنون، إن كل امرئ في بيته قد يكون على حالة خاصة، أو أحاديث سرية، أو شؤون بيتية، فيفجؤه داخل من غير إذن قريباً كان أو غريباً، وصاحب البيت مستغرق في حديثه، أو مطرق في تفكيره، فيزعجه هذا أو يخجله، فينكسر نظره حياءً، ويتغيظ سخطاً وتبرماً.

ولقد يقصر في أدب الاستئذان بعض الأجلاف ممن لا يهमे إلا قضاء حاجته، وتعجل مراده، بينما يكون دخوله محرماً للمزور مثقلاً عليه.

وما كانت آداب الاستئذان وأحكامه إلا من أجل ألا يفرط الناس فيه أو في بعضه، معتمدين على اختلاف مراتبهم في الاحتشام والأنفة، أو معولين على أوهامهم في عدم المؤاخذة، أو رفع الكلفة.

تأملوا أيها المؤمنون قوله سبحانه: حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا [النور: ٢٧].



إنه استئذان في استئناس، يعبر عن اللطف الذي يجب أن يكون عليه الزائر أو الطارق مراعاةً لأحوال النفوس وتهيؤاتها، وإدراكاً لظروف الساكنين في بيوتاتهم وعوراتهم. وهل يكون الأئس والاستئناس إلا بانتفاء الوحشة والكرهية؟! أدبٌ رفيع يتحلى به الراغب في الدخول لكي يطلب إذناً لا يكون معه استيحاش من رب المنزل، بل بشاشة وحسن استقبال.

ينبغي أن يكون الزائر والمزور متوافقين مستأنسين، فذلك عون على تأكيد روابط الأخوة الإسلامية. ولقد بسطت السنة المطهرة هذا الأدب العالي، وازدان بسيرة السلف الصالح تطبيقاً وتبييناً. فكان نبيكم محمد إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن، أو الأيسر، ويقول: ((السلام عليكم، السلام عليكم)) (١)[١]. ووقف سعد بن عبادَةَ مقابل الباب فأمره النبي أن يتباعد. وقال له: ((وهل الاستئذان إلا من أجل النظر؟!)) (٢)[٢].

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: اطلع رجل من حجرٍ في حُجرِ النبي ومع النبي مدرى . أي: مشط . يحك به رأسه، فقال النبي : ((لو أعلم أنك تنظر؛ لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)) (٣)[٣]. والمستأذن . أيها الإخوة . يستأذن ثلاث مرات فإن أُذن له وإلا رجع . وقد قيل: إن أهل البيت بالأولى يستتصتون، وبالتالي يستصلحون، وبالتالي يأذنون أو يردُّون، لكن قال أهل العلم: لا يزيد على ثلاثٍ إذا سُمع صوته وإلا زاد حتى يعلم أو يظن أنه سُمع. ويقول في استئذانه: السلام عليكم، أأدخل؟ فقد استأذن رجل على النبي وهو في بيته ((فقال: أألج؟ فقال النبي لخادمه: اخرج إلى هذا! فعلمه الاستئذان فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟ فسمعه الرجل، فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ، فدخل)) (٤)[٤]. وله أن يستأذن بنداٍ أو قرع أو نحنة أو نحو ذلك.

تقول زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: كان عبد الله إذا دخل تتحنح وصوت. ويقول الإمام أحمد: يستحب أن يحرك نعله في استئذانه عند دخوله حتى إلى بيته؛ لئلا يدخل بغتة. وقال مرة: إذا دخل يتحنح.

ومن الأدب أن الطارق إذا سئل عن اسمه فليبينه، وليذكر ما يُعرف به. ولا يجيب بما فيه غموضٍ أو لبسٍ. يقول جابر رضي الله عنه: أتيت إلى النبي في دين كان على أبي، فدققت الباب، فقال: ((من ذا؟)) فقلت: أنا، فقال النبي : ((أنا أنا !!!)) كأنه كرهها (٥)[٥].

وإذا قرع الباب فليكن برفق ولين من غير إزعاج أو إيذاء ولا ازدياد في الإصرار، ولا يفتح الباب بنفسه، وإذا أُذن له في الدخول فليترث، ولا يستعجل في الدخول، ريثما يتمكن صاحب البيت من



فسح الطريق وتمام التهيؤ، ولا يرم ببصره هنا وهناك، فما جعل الاستئذان إلا من أجل النظر. والاستئذان حقٌّ على كل داخل من قريب و بعيد من الرجل والمرأة، ومن الأعمى والبصير. عن عطاء بن يسار، أن رسول الله سألته رجل فقال: يا رسول الله، أستأذن على أمي؟ فقال: ((نعم)) قال الرجل: إني معها في البيت؟ فقال رسول الله: ((استأذن عليها)). فقال الرجل: إني خادمها. فقال له رسول الله: ((استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟)) قال: لا. قال: ((فاستأذن عليها)) (٦) [٦].

ويقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: إذا دخل أحدكم على والدته فليستأذن.

والأعمى يستأذن كالْبصير، فلربما أدرك بسمعه ما لا يدركه البصير ببصره.

((ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه، صُبَّ في أذنه الآنك يوم

القيامة)) (٧) [٧] والآنك هو الرصاص المذاب.

أيها الإخوة في الله، وهناك أدب قرآني عظيم، لا يكاد يفقهه كثير من المسلمين. إنه قول الله عزَّ

وجلَّ: وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ [النور: ٢٨].

إن من حق صاحب البيت أن يقول بلا غضاضة للزائر والطارق: ارجع. فللناس أسرارهم وأعدارهم،

وهم أدري بظروفهم، فما كان الاستئذان في البيوت إلا من أجل هذا.

وعلى المستأذن أن يرجع من غير حرج، وحسبه أن ينال التزكية القرآنية.

قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها. لقد طلبت أن أستأذن على بعض

إخواني ليقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط. لقوله تعالى: وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ

[النور: ٢٨]. ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره.

إن من الخير لك ولصاحبك أيها الطارق، أن يعتذر عن استقبالك بدلاً من الإذن على كراهية

ومضض، ولو أخذ الناس أنفسهم بهذا الأدب، وتعاملوا بهذا الوضوح؛ لاجتنبوا كثيراً من سوء الظن

في أنفسهم وإخوانهم.

فاتقوا الله. أيها المؤمنون. والتزموا بدينكم، واستمسكوا بأدابه، وحافظوا على مشاعر الأخوة، وتخبروا

في أوقات الزيارات، وقدروا لإخوانكم أحوالهم وظروفهم، والتمسوا لهم الأعدار، ودعوا الأعراف

والتقاليد الخاطئة.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد، وأقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر

المسلمين من كل ذنْبٍ وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه، أحمدته سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه واجتباها، وقرّبه إليه وأدناه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعد:

أيها المؤمنون، اتقوا الله واعلموا أن الإسلام كما شرع آداباً للاستئذان من خارج البيوت؛ فقد أوضح آداباً خاصة أدب بها الصغار الذين لم يبلغوا الحلم في أوقات خاصة في عورات ثلاث: من قبل صلاة الفجر، وفي أثناء الظهر، ومن بعد صلاة العشاء، أوقات يخلو بها المرء في نفسه، أو مع زوجته يتخفف فيها من كثير من القيود، فللعمل وقته، وللراحة وقتها، فيعطي كل ذي حق حقه. أيها الإخوة في الله، إن هذه التفاصيل الدقيقة في آداب الاستئذان تؤكد فيما تؤكد حرمة البيوت، ولزوم حفظ أهلها من حرج المفاجآت، وضيق المباغطات، والمحافظة على ستر العورات. عورات كثيرة تعني كل ما لا يرغب الاطلاع عليه من أحوال البدن، وصنوف الطعام واللباس وسائر المتاع، بل حتى عورات المشاعر والحالات النفسية، حالات الخلاف الأسري، حالات البكاء والغضب والتوجع والأنين. كل ذلك مما لا يرغب الاطلاع عليه لا من الغريب ولا من القريب، إنها دقائق يحفظها ويستترها أدب الاستئذان. فهل يدرك هذا أبناء الإسلام!؟

- (١) صحيح، أخرجه أبو داود كتاب: الأدب، باب: كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان (٥١٨)، والبخاري: في الأدب المفرد، باب: كيف يقوم عند الباب (١٠٧٨)، ورمز له السيوطي في: الجامع الصغير (٦٥٢٣) بالصحة، وصححه الألباني في: الأدب المفرد (٨٢٢).
- (٢) صحيح، أخرجه الطبراني في: الكبير (٦-٥٣٨٦/٢٢) واللفظ له. وقال الهيثمي في: المجمع (٤٤-٨): رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أبو داود في: الأدب، باب: في الاستئذان (٥١٧٤)، وصححه الألباني في: صحيح أبي داود (٤٣١٠).
- (٣) صحيح، البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: الاستئذان من أجل البصر (٦٢٤١)، ومسلم، كتاب: الآداب، باب: تحريم النظر في بيت غيره (٢١٥٦).
- (٤) صحيح، أخرجه أحمد (٣٦٩/٥)، وأبو داود في: الأدب، باب: كيف الاستئذان (٥١٧٧)، وابن أبي شيبة (٥-٢٤٢/٢٥٦٧٢)، وجود إسناده الحافظ كما في: الفتح (٣/١١) وذكر عن الدارقطني أنه: صحيح.
- (٥) صحيح، أخرجه البخاري في: الاستئذان، باب: إذا قال من ذا، فقال: أنا (٦٢٥٠) واللفظ له، ومسلم في: الآداب، باب: كراهة قول المستأذن أنا، إذا قيل من هذا (٢١٥٥).



- (٦) إسناده صحيح إلى مرسله، أخرجه مالك في: الموطأ، كتاب: الجامع، باب: الاستئذان (١٧٩٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٢/٤-١٧٦٠٠)، وأبو داود في: المراسيل، كتاب: العلم، باب: في الاستئذان (ص٥٠٨/٤٨٤)، قال ابن عبد البر في: التمهيد (٢٢٩/١٦): مرسل صحيح.
- (٧) صحيح، جزء من حديث أخرجه في: التعبير، باب: من كذب في حلمه (٧٠٤٢).